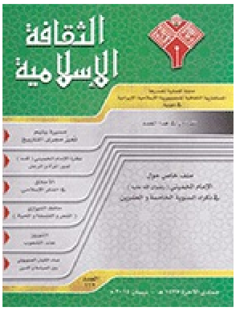

شخصية المرأة فی ظل الإسلام

پدیدآورنده (ها) : السبحانی، محمد تقی

میان رشته ای :: نشریه الثقافة الاسلامیة :: شوال ۱۴۳۲ - العدد ۱۰۲

صفحات : از ۹۵ تا ۱۱۲

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/1448359

دانلود شده توسط : محسن جوادی

تاریخ دانلود : ۱۴۰۱/۱۰/۱۱

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

مقالات مرتبط

- کاربرد روش تقسیم منطقی در شناخت مقصود مفردات قرآنی (مطالعۀ موردی واژۀ وحی در قرآن کریم)
- درآمدی بر منطق
- دستگاه منطقی قرآن کریم در افق منطق صوری
- کرسی نقد و نظریه پردازی: نسبت «عقل و وحی» از دیدگاه فلسفه و مکتب تفکیک
- روش استدلال در قرآن کریم
- فقه مقارن راهی برای کشف حقیقت
- سبک های بیان استدلال در قرآن
- قضایای حقیقیه، خارجیه، لابتیه
- ورزش بانوان از منظر فقه اسلامی
- تحلیل و نقد دیدگاه عبدالکریم سروش در اثبات پلورالیسم دینی بر مبنای آیات قرآن
- نظریة المعرفة فی فلسفة الشهید السید محمد باقر الصدر (قدس سره)
- نسبت‌سنجی حکم حکومتی با احکام اولیه و ثانویه الهی،با تاکید بر دیدگاه امام خمینی قدس سره

عناوین مشابه

- أین دور المرأة الداعیة فی ظل الأزمة الفلسطینیة؟!!
- المرأة فی الإسلام
- المرأة هامشاً نقد ثقافی فی تاریخ التأویل الذکوری لقیمة المرأة حتی مطلع الإسلام
- تنبیه الأنام إلی«أحوال المرأة فی الإسلام»
- حق المرأة فی الإسلام..و غبش هذا الزمان
- مکانة المرأة فی الإسلام
- التعایش الأخوی العربی الإیرانی فی ظل الإسلام
- شعر المرأة العربیة فی الجاهلیة و صدر الإسلام
- الأسرة المسلمة: المرأة العربیة فی ظل الإسلام
- مع الإمام القائد: سعادة المرأة فی ظل الإسلام

www.noormags.ir

شخصية المرأة في ظل الإسلام

الدكتور محمد تقي السبحاني
باحث وكاتب إيراني

يمكن الادِّعاء بجد أن ظهور الإسلام كان بشارة سارّة للنساء في ذلك المقطع من الزمان.

فالدعوة العامة للقرآن الكريم مبنية على تحريم الظلم ، والقوانين العملية الإسلامية تحمي الشخصية الخاصة للمرأة في الحياة الاجتماعية والأسرية من كل ما يسيء إليها ويحرفها عن تحقيق الهدف الذي خُلقت من أجله وهو تهيئة اللَّبنات الصالحة لبناء مجتمع صالح.

وما يبدو لنا أنه ضروري ، هو إحياء المفاهيم الإسلامية الأصيلة وتفعيلها بالشكل الذي يمكِّنُنا من مواجهة التحديات التي تقف في وجه بنائنا لحضارة إنسانية راقية، فهذه المسألة يمكن أن تؤدي إلى إيجاد نظرية جديدة ورؤية متميزة لمبان جديدة في وضع البرامج العائلية والاجتماعية.

أعلن الإسلام حياة جديدة للمرأة في بُعدها الاجتماعي ولكن ممّا يؤسف له أنه على الرغم من ظهور هذا الدين الحنيف الذي فيه النجاة الدائمة الأبدية للإنسان ، فإن وقوع حدَثَيْن أساسيّيْن على مر التاريخ غيّرا مسيرة حياة المرأة . الحدث الأول هو ظهور حالة التحجُّر واختلاط الأذواق الباطلة بالحقائق الدينية، والحدث الثاني تجدُّد وظهور العلمانية التي اعتبرت نفسها المدافع عن حقوق المرأة .

www.noormags.ir

إن تيار التحجُّر القديم والتيارات النسائية الغربية الحديثة تجاهلت الدور الاستثنائي الخاص للمرأة على صعيد الحياة العائلية.

على هذا الأساس ارتأَيْنا إقامة مقارنة ومقايسة بين الفكر الديني الإسلامي والرؤية الغربية حول المرأة، آملين أن تكون هذه الخطوة- بلطف الله تعالى والعناية الخاصة لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام- منشأً للبركة وتنوير الأذهان.

وقبل الحديث عن رؤية الإسلام للأبعاد العامة لشخصية المرأة ؛ ينبغي دراسة منطلقات هذا الموضوع والمكانة التي يحظى بها على مستوى الأطروحات النظرية . ولعلّ هناك من يتصور بأن مجرد الاعتقاد بالمبادئ والمعارف الإسلامية يعني بالضرورة وجود اعتقاد مشابه بضرورة طرح نموذج عام لشخصية المرأة طِبقاً للرؤية والمنطلقات الدينية الإسلامية، إلا أن هذه الرؤية لا تكون إلا من خلال وجود أُسُس نظرية يمكن الارتكاز عليها والدفاع من خلالها عن هذه الرؤية، ومن أجل توضيح أبعاد هذا الموضوع ؛ لابد أولاً من شرح أهم الأُطروحات التي تناولها المفكرون المسلمون في هذا المجال، ومن ثم نشير إلى الأُطروحة التي يمكن أن ترتكز عليها مثل هذه الرؤية.

أُطروحات المفكرين المسلمين :

لقد سادت في أوساط المفكرين المسلمين خلال العقود القليلة الماضية ثلاث أطروحات شملت الدراسات المتعلقة بالمرأة ، ويبدو أن تبلور هذه الأطروحات لم يأخذ طابع التنظير بقدر ما جاء كنتيجة للبحث عن إجابات وحلول عملية لواقع المرأة والمشاكل التي تعاني منها على مستوى المجتمع ، وهذا لا يعني بالطبع أن مثل هذه الرؤى والأطروحات كانت خالية من الطابع الفلسفي والمعرفي، بل إن الحلول التي تبلورت في هذا المجال ترعرعت - بصورة أو بأخرى - في كنف بعض الفرضيات والأسس الموضوعية الخاصة، وبالتالي فهي تستهدف أطروحات ومبادئ معينة، ولذا فإن من الممكن أن تُنسب هذه الحلول العملية إلى مصادر فلسفية ومعرفية معيّنة وذلك من خلال العودة إلى جذورها ومبادئها الأساسية . وما يبعث على الارتياح في هذا المجال هو أن هذه المجموعات سعت بكل جهد إلى طرح رؤاها خلال السنوات الماضية.

إن دراستنا ستختص بالأطروحات التي تَقَدّم بها المفكرون المسلمون - بدءاً من المفكرين الإيرانيين ومروراً بعلماءِ ومفكري العالم العربي، وانتهاءً بمفكري القارة الهندية، وبذلك نتناول جميع المفكرين الذين سعوا - وبالرغم من اهتماماتهم المختلفة ومنطلقاتهم الفكرية المتنوعة - إلى جعل أطروحاتهم الفكرية تنسجم مع الفكر الإسلامي وحرصوا على أن تبدو رؤاهم في هذا المجال متطابقة مع النصوص والعلوم والمعارف الدينية . وفي هذه العجالة يمكن لنا أن نُلحق مفردة (الإسلامي) على كل واحدة من التيارات الثلاثة السابقة، وذلك ليتم تمييزها عن التيارات العلمانية واللادينية.

www.noormags.ir

إن المنظومة الفكرية لمفكرينا وبسبب وجود العلائق والاهتمامات المختلفة والاعتماد على المصادر الفكرية المتنوعة لم تحظ بالتكيُّف والانسجام الداخلي، لكن يمكن التوصل إلى بعض النقاط المشتركة في داخل الشخصية الواحدة، من خلال تحديد الخصائص الفكرية لكل واحدة من هذه الأطروحات، واكتشاف الأساليب التي اتّبَعتها في هذا المجال.

ولابد أن نضيف نقطة أخرى وهي إن هذه الأطروحات الثلاث، وبالرغم من أنها تنطلق من منطلقات ثقافية وقواعد فكرية مختلفة، إلا إنها ترعرعت بشكل عملي داخل حاضنة اجتماعية واحدة، وتمكنت من التطور والنمو من خلال تفاعلها مع بعضها البعض، وأن «التيار التقليدي الإسلامي» و «تيار العصرنة والتجدد الإسلامي» تبلور كلاهما في خضم المواجهة مع التيار الثقافي الغربي الذي ظهر حديثاً في العالم الإسلامي، والفارق بينهما أن ردود أفعال التيار التقليدي تجاه هذه الظاهرة اتسمت بالسلبية – في الغالب-؛ بينما هرع إليها تيار العصرنة والتجدد واستقبلها بمنتهى الحفاوة والإيجابية، واعتبر أن مهمة تطبيق نمط الثقافة الحديثة على الواقع الإقليمي هي من أولى المهام التي تقع على عاتقه .

طُرح التيار التقليدي الإسلامي في بداية الأمر من قبل بعض رجال الدين والمتدينين، وتميّز بنظرته التشكيكية تجاه الحضارة الغربية، فوصل به الأمر أحياناً أنه اعتبر كل ما يصدر عن الغرب من ظواهر حديثة هي رمز للكفر والزندقة، إلا أن هذا التوجه أخذ يتبدل شيئاً فشيئاً، وأصبح الاتجاه التقليدي يميل كثيراً إلى جعل الضوابط والعلاقات الاجتماعية تنسجم مع الشريعة الإسلامية .

ولكي نتعرف أكثر على الجذور التاريخية لمنهج التجديد والعصرنة الإسلامي ينبغي علينا العودة إلى الوراء قليلاً وإلى فترة ظهور الفكر العلماني بالتحديد. فظهور منهج التجديد والعصرنة في شكله العلماني واللاديني يعود إلى زمن بعيد، حيث تزامن ذلك في المجتمع الإسلامي مع ظهور الاتجاه التقليدي، وبعدما تبنّى المفكرون العلمانيون الحضارة الغربية بالكامل بدؤوا بتوجيه الانتقادات للثقافة التي ينتمون إليها ؛ بل والاستخفاف بها وطالبوا بإحداث تغيير شامل على مستوى المرتكزات الدينية والقيم الاجتماعية وإعادة صياغة الهيكل العام للدولة والمؤسسات الشعبية بما يتناغم مع الحداثة.

إن الفكر التجديدي الإسلامي هو وليد الصراع والتجاذب العقائدي بين الفكر العلماني والفكر التقليدي الديني، إلا أن المفكرين المسلمين ومن خلال قبولهم للأطر الفلسفية والعملية والاجتماعية للحداثة ورفضهم لبعض مظاهرها الأخرى؛ قرروا إعادة النظر ببعض النصوص والمعارف الدينية وذلك لجعل الثقافة الإسلامية متناغمة مع الفكر التجديدي والعصرنة.

www.noormags.ir

وفي واقع الأمر فإن مصطلح (المُجدِّد أو المصلح الديني) في المجتمع الإسلامي ولد في مثل هذه الظروف. وفي مثل هذه الظروف أيضاً ظهر التوجه الثالث أي (التيار التقدمي) الذي جاء متأخراً – نوعاً ما– عن التيارات الأخرى، وبالرغم من أن هذا الاتجاه له جذوره بين أعلام الفكر والثقافة الإسلامية في القرن الماضي، إلا أنه طُرح بجدية في الدول الإسلامية عموماً، وفي إيران بشكل خاص خلال العقود القليلة الماضية ؛ وخاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية وتبلور النظرية السياسية للجمهورية الإسلامية، وقد أثار ظهور هذا التيار الفكري الجديد اهتمام الأوساط الفكرية والسياسية الغربية أكثر من أي جهة أخرى، حيث ظهرت في الخطاب السياسي الغربي بعض المصطلحات الجديدة مثل (التيار الإسلامي) و(الإسلام السياسي) و(الأصولية الإسلامية) وغير ذلك من التسميات التي وصفت هذا التوجه في العالم الإسلامي. فهذا التوجه وفضلاً عن كونه لم يؤمن بأي تعارض بين المفاهيم الحديثة مثل التجديد والحداثة الاجتماعية وبين الدين؛ فهو يعتبر أن التنمية والتطوير العلمي والتقني من مستلزمات الحياة الاجتماعية للبشر، ومحور الخلاف بين هذا التوجه وبين ما ذهب إليه تيار التجديد والعصرنة الإسلامي هو أن الأخير يرى أن على المثقفين والمصلحين المسلمين أن يقتبسوا نماذج التنمية والعصرنة من خلال أنماط الحداثة، وأن لا يكتفوا بمحاولة التوفيق بين هذه الأنماط والوضع المحلي والإقليمي، في حين يسعى التيار التقدمي إلى التوصل إلى نماذج للإصلاح الاجتماعي في إطار الثقافة الإسلامية وتعاليم الوحي، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن هذا التوجه جاء كردّة فعل على التوجُهَيْن السابقَيْن ونتج عن تفاعله معهما وسعيه نحو معالجة حقيقية للمعضلات التي عجز الآخرون عن حلها.

الأطروحة الأولى - التيار التقليدي الإسلامي

إن مصطلح (التقليدي) أو ما يُعبّر عنه باللاتينية (Traditionalism) يُقصد منه – غالباً – تلك المجموعة من المفكرين المسلمين المعاصرين الذين يعتبرون أن المفاهيم العرفانية والروحية تمثل (جوهر الدين) أما البُعد التشريعي والأحكام فأهميتهما ثانوية في هذا المجال، ويعتبرون أيضاً أن هذا البعد من الإسلام يتعارض مع الثقافة والحضارة الغربية، ولأن هذه المجموعة من المفكرين لم تقدم رؤية واضحة عن المرأة وقضاياها، فليس هناك مجال للحديث عنها في هذه الدراسة.

أما التقليديون بالنسبة لنا فهم العلماء والمُتديِّنون المسلمون الذين سعوا في القرنين الماضيين بكل عزم ومثابرة إلى مواجهة الثقافة والحضارة الغربية والتغلب عليها من خلال الاعتماد على المفاهيم والأحكام الدينية . وبالرغم من أن هذه المجموعة من العلماء

www.noormags.ir

والمفكرين لم تقم على أساس تكتلات أو تجمعات خاصة ومعيّنة - بل ومن الصعب أن نتخيل نوعاً من هذا الترابط العضوي الذي يربط بينهم جميعاً - إلا أنهم جميعاً يتفقون على الكثير من الرؤى والمفاهيم المشتركة ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كل المصطلحات والتسميات التي أُطلقت على هذا التوجه والتوجهَيْن السابقين لا تحمل دلالات إيجابية ولا سلبية، كما أنها لا تنطلق في دلالاتها من أية واحدة من المدارس الفكرية المعروفة حالياً، ونسعى هنا إلى حصر المفاهيم العديدة التي استُخلصت من أقوالهم وتقريراتهم في المحاور التالية :

ألف- التيار الأصولي:

لعلّ من أهم خصوصيات هذا التيار هو تأكيده على الأسس والقيم الدينية واعتبار هذه الأسس والقيم هي وحدها التي يمكن أن تقدم الحلول الناجعة لقضايا المرأة وللواقع الراهن بشكل عام. فأصحاب هذا التيار يعتبرون أن سبيل الخلاص من المعضلات الراهنة لا يتم عبر العودة إلى التعاليم الدينية فحسب؛ بل يرون أيضاً أن السبب المباشر في ظهور مثل هذه المشاكل والأزمات الاجتماعية هو الابتعاد عن التعاليم والأحكام الإسلامية الأصيلة. ولو قُدِّر لهؤلاء أن يجيبوا على السؤال حول سبب امتناع البشر عن العمل بأحكام الدين - خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة- وكذلك دلائل هذا الكم الهائل من العقبات التي تواجهها عملية تطبيق أحكام الدين في مجتمعاتنا ، لاعتبروا أن ذلك يعود إلى تراجع الحالة الإيمانية وانعدام الاستقامة لدى القائمين على الشؤون الاجتماعية في الأمة، أو خضوع الجهات التنفيذية والإدارية فيها لرغباتها الذاتية وأهوائها النفسية، فضلاً عن العوامل الأخرى ومنها؛ الموانع والمؤامرات الثقافية والسياسية التي تحيكها أيادي الاستعمار الخفية. فهؤلاء لا يرون ضرورة دراسة سائر الأبعاد المعرفية الأخرى أو الاطلاع المباشر على الواقع الاجتماعي من أجل معالجة جذور القضايا أو تطبيق التعاليم الإسلامية، بل يكفي تقييم الواقع المعاصر من خلال المفاهيم الدينية.

باء: محورية الحقوق والواجبات:

مما لاشك فيه أن التشريعات والواجبات تُعتبر من المرتكزات الرئيسية والأساسية في الأديان السماوية، حيث تتحقق المقاصد والأهداف الدينية من خلال الخضوع والتسليم المطلق للأوامر الإلهية . وعلى هذا الأساس فإن رؤية التيار التقليدي لقضايا المرأة تنطلق عموماً من خلال هذا المفهوم، وبالتالي فهم على قناعة تامة من أن قضايا المرأة ترتبط بشكل مباشر بنظم وقوانين المُشرّع ، ومن واجب الإنسان أو المجتمع المسلم أن يسعى إلى تطبيق القوانين والأحكام الدينية وتجسيد هذه الأحكام في الحياة البشرية.

ويعتقد التقليديون بأن الاتجاه الأصولي فيما يتعلق بقضايا المرأة، يبرز بشكل واضح

www.noormags.ir

على مستوى الواجبات والمسائل التعبدية؛ بينما ليس له علاقة تذكر بسائر المعارف الدينية الأخرى. وما يلاحظ عموماً هو تركيز التقليديين – في مجال الحقوق والتشريعات – على البعد الفردي للأحكام، ولو أظهروا بعض الاهتمام بالأحكام ذات البعد الاجتماعي، فذلك لأنهم يفسرونها من منطلقات فردية ولا يرون لها أي بعد فقهي اجتماعي .

جيم: المنهج الاجتهادي في فهم الدين:

إن الاتجاه التقليدي يرى أن معالجة قضايا المرأة تتم عبر العودة إلى الأحكام الشرعية وقد أطلق على ذلك مصطلح (الاجتهاد)، وانطلاقاً من هذه الرؤية فإن فهم الأحكام يستلزم بذل جهد علمي مضاعف يستند على جملة من الأسس والقواعد الخاصة، ولا يكفي في هذا المضمار مجردُ تصفح بعض المصادر والنصوص الدينية ، في حين يشمل «الاجتهاد» – بمفهومه العام – كلا من المنهج الأصولي والإخباري، ويمكن لنا أن نجد أشخاصاً يتبنون هذا التوجه لدى الفريقين.

فالاجتهاد – وخاصة بمنهجه الأصولي الذي يعود تاريخه إلى علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام – هو أحد الأساليب الدقيقة والمتطورة في مجال استنباط القوانين بل ويعتبر من خصائص الاتجاه التقليدي والنقاط الإيجابية التي تسجل لصالحه، إلا أن ما لا يُفهم أحياناً هو عدم الاهتمام النسبي بالجانب العقلي والعرفي من أساليب عملية الاجتهاد الذي يساهم بدور فاعل في تنمية وتطوير هذه الأساليب، كما ونشير أيضاً إلى عدم اهتمام الاتجاه التقليدي بحقائق الموضوع الذي أضعف منهج الاجتهاد لديه.

دال: الأصالة ورفض المنهج الالتقاطي:

أحد الأمور التي يشدد عليها التقليديون هي الأصالة التي تتميز بها معارف الوحي وتعاليمه ونقاوتها الدائمة، وبالتالي فهم يتصدون لكل الآراء والمعتقدات التي تشجع على المنهج الالتقاطي أو تسعى إلى تجزئة التعاليم والنصوص الدينية الأصيلة، وهذا الأمر بحد ذاته يعتبر من أحد الخصائص الإيجابية والمهمة لدى التيار التقليدي، إلا أن هذه النقطة بالذات يمكن أن تفسر – في بعض حالتها- بشكل قد يؤثر سلباً على الفكر الديني، فغالباً ما يستنتج المثقفون – من خلال تشديد التقليديين على أصالة المعارف الدينية – بأن الدين عاجز عن مواجهة متطلبات الحياة ومتغيرات العصر.

ويرى التقليديون أنه ومن أجل الحفاظ على أصالة المعارف الدينية وحمايتها من الأهواء والرغبات البشرية، لابد من تنقية الدين من القضايا العرفية والاجتماعية؛ فالإسلام يتحدث عن الحقائق الغيبية والسنن الإلهية الثابتة، بينما تقوم الفلسفة والعلوم البشرية على أساس التوقعات والتصورات الذهنية التي تبحث في الغالب في القضايا الجزئية ومتغيرات حياة البشر. ولدى أصحاب هذا الاتجاه أسلوبان مختلفان لمواجهة

www.noormags.ir

الأفكار الدخيلة أو التجارب البشرية الناقصة التي قد تتعرض لها المعارف الدينية، فبعد أن كان هؤلاء يرفضون كل مظاهر التمدن والحداثة والتجديد خاصة في الفترة الأولى من مجيء الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامي أدركوا شيئاً فشيئاً بأنهم ومن خلال فصل القضايا الدينية عن الحياة العادية للبشر سيؤكدون على أن القضايا الاجتماعية والعلمية هي قضايا غير دينية، وبالتالي لا مانع من الاستفادة من العلم والتقنية الحديثة مادات تساعد على سد الحاجات البسيطة للبشر، ومادامت لا تتعارض مع القيم والأحكام الدينية. وكما يبدو فإن من مستلزمات مثل هذا التفكير - شئنا أم أبينا - هو فصل الدين عن الحياة الاجتماعية للبشر، وهذا ما يمكن اعتباره شكلا آخر من أشكال تطبيق «العلمانية».

هاء: تقديس الماضي:

عندما يُطرح السؤال عن تصور التيار التقليدي للنموذج المثالي والأخير للبشرية، وأين يمكن العثور على مثل هذا النموذج المثالي، أو بعبارة أخرى ما هي طبيعة المدينة الفاضلة بالنسبة للتيار التقليدي، فسيشير هؤلاء إلى العصر النبوي أو إلى عصر المسلمين الأوائل. بالطبع فإن شعار العودة إلى العصر النبوي تم طرحه من قبل هذه التيارات الثلاثة خلال العقود القليلة الماضية، إلا أن كل واحد من هذه التيارات انطلق من رؤيته الخاصة في تفسير هذا الشعار، فكثيراً ما يخلط التقليديون بين القيم والتعاليم الإسلامية في عصر نزول الوحي وبين النسيج الاجتماعي والاقتصادي الذي كان سائداً داخل المجتمع في ذلك العصر، حتى إن بعض المتطرفين يعتقدون بأن الإسلام يسعى إلى إعادة طبيعة العلاقات والتقاليد ومستوى التطور العلمي الذي كان سائداً في تلك الفترة والمحافظة عليها، ويعتبر بأن كل التطورات والتغييرات التي حدثت فيما بعد ساهمت بشكل أو بآخر في إبعاد الأمة عن المجتمع الإسلامي المطلوب . كما أن تصور هؤلاء لطبيعة المجتمع في ظل دولة المهدي المنتظر (عليه السلام) مطابقة لنفس النسيج الاجتماعي والاقتصادي وذات التقاليد التي كانت سائدة في صدر الإسلام، وبالتالي تسود المجتمعَ ذاتُ العلاقات والتقنيات البسيطة والبدائية التي كانت منتشرة حينذاك.

إن مثل هذه النظرة للدين تتجلى بشكل واضح لدى التيار السلفي من المذهب السني، كما يمكن العثور على نماذج من هذا الفكر لدى المذهب الشيعي أيضاً وذلك في أوساط العلماء والمتدينين التقليديين، وأيضاً بين المفكرين الذين يميلون إلى أفكار الفيلسوف الوجودي الألماني «مارتن هايدغر» وكذلك بين أتباع التيار التقليدي الذي تحدثنا عنه وهم الأكثر بالطبع.

www.noormags.ir

الأطروحة الثانية - تيار العصرنة الإسلامي

إن تيار العصرنة الذي برز بوضوح في أوساط المثقفين والمفكرين المسلمين خلال القرن الماضي، كردة فعل من قبل الطبقة المتعلمة في العالم الإسلامي على اجتياح التيار الثقافي الغربي للمجتمعات الإسلامية. وهذه المجموعة من المتعلمين الذين عايش أغلبهم الحداثة الأوروبية عن قرب خاصة في ظل التعليم الجامعي الحديث؛ فهم وبسبب تعلقهم الشديد بالدين أيضاً كانوا أكثر مَنْ شعر بطبيعة المواجهة بين الحالة التقليدية وموجة الحداثة . إن العلاقة الوثيقة بين التعاليم الدينية من جهة والتقاليد الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإسلامية من جهة أخرى، وكذلك التعامل السطحي مع الفكر الإسلامي الذي يسود هذه المجتمعات من جهة ثالثة، أدت جميعها إلى عدم وضوح الرؤية لدى المفكرين والمثقفين المسلمين حول العلاقة بين الدين والحضارة الغربية ، الأمر الذي تسبب في العديد من الإخفاقات وحال دون التوصل إلى حلول حقيقية وجذرية لحالة التصادم التي نشبت فيما بعد بين الثقافة الدينية ومنجزات الحضارة الجديدة ، وهو ما ساهم أيضاً في خلق قناعة لدى المثقفين المسلمين بأن ثقافتنا التقليدية تراجعت أمام ذات المحاور التي شرعت الحضارة الغربية الجديدة بإعادة تفعيلها بكل عزم وإرادة وهي: (التجارب العملية والفلسفة الاجتماعية وتنمية وتطوير المناهج العقلية).

إن الطبقة الجديدة من المتعلمين أخفقت في العثور على ما يمكن أن تواجه به الإنجازات العلمية والنظم الاجتماعية والتطور التقني في الغرب؛ داخل الثقافة السائدة في المجتمع الإسلامي؛ بينما أدت حالة السبات الفكري وتراجع معدل التنظير على المستوى الاجتماعي وحالة الانحطاط السياسي والاجتماعي التي تعاني منه المجتمعات الإسلامية ؛ إلى استسلام شريحة واسعة من الجيل الجديد والمتعلم أمام قِيَم وأُسس الحداثة، خاصة بعد إخفاقها في مواجهة التيار الفكري العلماني. ولم تؤد الجهود الكبيرة التي بذلها المثقفون المسلمون خلال القرن الأخير – مع اختلاف مذاهبهم الفكرية والتي امتدت من الماركسية وحتى الليبرالية ومن المنهج الوجداني وحتى المنهج التجريبي- إلى منع حالة التضعضع الثقافي وضعف المنعة والمقاومة الثقافية لدى المسلمين أمام التيار العالمي للحداثة الغربية، فأدى ذلك إلى انجراف شريحة كبيرة من الجيل الجديد مع هذا التيار.

ونحن لا نسعى هنا إلى شرح الأفكار والرؤى العامة للمفكرين المسلمين بل سَنَقْصُر الحديث بصفة خاصة على التوجه العام للإصلاحيين المسلمين بخصوص المرأة، هذا على الرغم من أن «المرأة» لم تحظ بكثير من الاهتمام لدى المفكرين المسلمين عبر التاريخ ، إلا أن بالإمكان فهم رؤيتهم الحقيقة في هذا المجال من خلال مؤلفاتهم وأعمالهم المختلفة، كما أنهم أظهروا بعض الاهتمام بقضايا المرأة خلال العقد الأخير.

www.noormags.ir

على أي حال؛ يمكن تلخيص نظرتهم للمرأة في خمسة محاور أساسية هي:

ألف- النزعة الإنسانية:

وهذه الرؤية التي تنطلق من محورية الإنسان في الحضارة ؛ هي إحدى المرتكزات الأساسية للثقافة والحضارة الأوروبية الحديثة، فهذا المفهوم لا يُعتبر أحد خصائص الحضارة والحداثة الأساسية فحسب؛ بل هو في طليعة المفاهيم الفلسفية التي أعلنت عن ولادة عالم غربي جديد من رحم النظام الإقطاعي – المسيحي خلال القرن السادس عشر الميلادي . بطبيعة الحال نشأ مفهوم «محورية الإنسان» في بداية الأمر كردة فعل على مفهوم «محورية الرب» الذي كانت تدعو إليه الكنيسة خلال القرون الوسطى.

إن إصرار الكنيسة على حقارة الطبيعة الإنسانية واعتبار أن الفطرة البشرية ملوثة وغير نقية وحديثها عن المفاهيم المتعارضة (كالله والإنسان) و(الأرض والسماء) و(التطبع والقدسية) أدت بصورة غير مباشرة إلى إلغاء دور إرادة الإنسان في تحديد مصيره، وقد أوجدت هذه التصورات الغريبة – التي كانت تُروّج باسم الرب وباسم الإرادة الإلهية – ردة فعل عنيفة داخل المجتمعات الغربية حتى إنها بدأت تنكر أي دور للعالَم السماوي في تحديد طبيعة ومصير الإنسان، وأخذت تفسر حياة الإنسان طبقاً للظواهر الطبيعية الكونية والميول العامة للبشر.

وقد تسللت مثل هذه التصورات – عن قصد أو غير قصد – إلى المنهج الفكري لتيار العصرنة الإسلامي حيث انطلق هذا التيار بتصوراته عن المرأة من خلال هذا المنطلق، ومن هنا فلم يتجاوز هؤلاء البعد القانوني والاجتماعي للمرأة في الإسلام فحسب، بل تجاوزوا أيضاً الاختلافات النفسية والعضوية بين المرأة والرجل بحجة عدم «التمييز على أساس الجنس». وخلاصة القول إن تيار العصرنة الإسلامي لم يتمكن من التخلص من الرؤية المادية الغربية حول قضايا المرأة لكي يكوّن لنفسه منهجاً فكرياً مستقلاً ومتمايزاً عن تلك الرؤية التي ترى أن المرأة تتشابه مع الرجل في كل شيء وأنها كائن مستقل على المستوى الاجتماعي والأُسَري، بل هي مفعّمة بالرغبات الشخصية التي تستقيها من ميولها الطبيعية مما يتطلب منحها الرفاهية والتساوي في حقوق المواطنة.

باء- المنهج التنموي:

يرى تيار العصرنة والتجديد أن المشاكل والمعضلات التي تعاني منها المرأة هي جزء من مشكلة عامة تعود جذورها إلى انعدام التنمية الاجتماعية. فإن التحول في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في مختلف المجتمعات البشرية تتطلب تحولاً مشابهاً في جميع المجالات والأبعاد المادية والثقافية، وتنشأ المشاكل الاجتماعية عادة عندما لا تواكب

www.noormags.ir

شريحة من المجتمع «مسيرة التحول الشامل» أي أنها تصاب بحالة من التخلف وانعدام التطور والنمو.

ففي دول العالم الثالث - وخاصة الدول الإسلامية منها - حالت العادات والتقاليد التي تسيطر على المجتمع دون انطلاق عملية تحول وتنمية متزامنة في أوضاع المرأة، ومع مرور الزمن ازدادت الهوة بين المرأة والرجل في مجال الحقوق والفرص الاجتماعية، الأمر الذي أوجد الكثير من التحديات وأدى إلى ظهور العديد من المنظمات والحركات النسوية.

وطبقاً لذلك فإن تيار العصرنة والتجديد لا يرى أن حل قضايا المرأة يتم عبر العمل بالتوجيهات الإسلامية بل عبر تعديل القوانين والمناهج الثقافية العامة استعداداً لاستقطاب مرتكزات التطوير والتنمية التي تعتمد بشكل رئيس على مبدأ المساواة الاقتصادية والاجتماعية، ويرى المتجددون أن الدين يرتبط أساساً بالجانب الشخصي لحياة الإنسان فلا نتوقع منه أن يُقدّم حلولاً للمشاكل والمعضلات الاجتماعية، وعلى هذا الأساس فما دامت جذور المشاكل التي تعاني منها المرأة تعود إلى انعدام المساواة الاجتماعية فإن حل هذه المشاكل يكون عبر التخطيط العلمي الذي يتناسب مع التنمية التي تقودها المجتمعات الحديثة.

جيم- الاعتماد على العلم والعقلانية:

لو أعتُبر أن حل المشاكل التي تعاني منها المرأة مرهون بتحقيق تنمية اجتماعية متوازنة، فإن هذا الأمر سيعيد إلى الأذهان حقيقة أن مثل هذه التنمية الاجتماعية هي نتاج التوجه العقلاني العام لدى البشر، وهذا التوجه العقلاني ينعكس على تجاربهم التاريخية ويتجلى بوضوح في العصر الحديث، وهو ما يطلق عليه أحياناً بـ «العقل العصامي».

لقد أوجد المنهج الإنساني لدى الغرب قناعة بأن السبيل إلى خلاص الإنسان يبدأ من داخل الإنسان نفسه، وأن العُقَد التي يزدحم بها هذا العالم المجهول والغريب تُحلُّ بأيدي هذا الإنسان فحسب. ويرى المفكرون الغربيون بأن هناك طريقين في المجال لا ثالث لهما الأول: طريق العقل والفكر (راسيوناليزم) والثاني: طريق الاختبار والتجربة (امبريزم)، والخلاصة أن كلا من العقل العملي والعقل النظري تم التخلي عنهما مع بداية العصر الحديث، وقد اعتمدت العقلانية الغربية في بداية انطلاقتها على نتاج العقل البشري بشكل أساسي، وهذه النقطة بالتحديد هي التي تفصل بين ماهية العلم الحديث وبين العلوم السابقة، حيث يعتبر العلم الحديث أن المزيد من «السيطرة والتحكم بأسرار العالم» و«الزيادة في الإنتاجية» هما أهم من البحث عن الحقائق وعن الوسائل التي تضمن

www.noormags.ir

سعادة البشر، ويعتقد أصحاب التجدُّد والعصرنة أن العلم الحديث لا يبحث في الغايات ولا يرتبط بالقيم بأي شكل من الأشكال، بل يسعى إلى تحديد المشاكل التي يعاني منها الإنسان خلال تعاطيه مع محيطه ووضع الحلول لها.

وعلى هذا الأساس فإن أصحاب تيار العصرنة الإسلامي يرون أن السبيل إلى حل قضايا المرأة يتم عبر تطبيق العلوم الحديثة ، ويعتقدون بأن العلوم الاجتماعية الحديثة سوف تساعدهم في البحث عن جذور القضايا وتقديم الحلول المطلوبة في هذا المجال دون أن يعتنوا بالتعارض الذي قد ينشأ بين النتائج التي توصلت إليها هذه العلوم وبين القيم الأخلاقية والدينية، وبطبيعة الحال فإن أصحاب هذا التيار لا ينكرون القيم الدينية، ويرون ضرورة أخذها بعين الاعتبار عند التخطيط للقضايا الاجتماعية، إلا أنه وبسبب كون العلم والمنطق يتعارضان مع عملية التخطيط ولا يريان فائدة منها؛ يُرجِّحون القيم التي يتضمنها البحث العلمي على القيم الدينية التي غالباً ما تأتي مع القوانين والنظم بصورة شكلية. ومع تحقق هذا المفهوم، فسوف يمضي التوجه العام في المجتمع بالتدريج بعيداً عن الأهداف الإسلامية.

دال- الجانب التاريخي والفهم النسبي:

إن إحدى الضرورات التي يفرضها المنهج العقلاني (في الفكر المعاصر بالطبع) هي القبول بأن القيم الإنسانية هي جزء من الماضي وكذلك القبول بالفهم النسبي للحقائق والمعارف، بينما العقلانية بحد ذاتها – كما سنلاحظ فيما بعد – لا تتعارض مع التعاليم الأساسية والقيم السامية. إلا إن الحضارة الغربية تسعى إلى تنمية وتطوير مرافق الحياة من خلال ذهنية تاريخية ضيقة وعبر إلغاء دور الدين على المستوى الاجتماعي وإضعاف مرتكزات العقل النظري والعملي، وأخيراً من خلال اعتماد العقلانية على الفهم النسبي والبسيط لهذا العالم، وطبقاً لهذه الرؤية فإن ما يعبر عنه بالحكمة الخالدة والقِيَم الحقيقية في الحياة البشرية لا مكان لها على المستوى العلمي، وإن المسيرة الفكرية والثقافية للبشر عرضة دوماً لتجاذب وتجارب الصحيح أو الخطأ التي يقوم بها الذهن البشري المحدود. وبالرغم من أن الحديث عن هذه النسبية في الفهم يدور اليوم حول محور التقهقر الحضاري، إلا أنه لابد من الاعتراف أيضاً بأن هذا المفهوم متجذِّر في عمق الحداثة وأن التقهقر الحاصل هو ليس سوى ثمرة لهذه الحداثة.

وغالباً ما يطرح تيار العصرنة الإسلامي تصوراتهم حول الفهم النسبي في مجال العلوم الدينية دون شعور منهم أو احتراس من العواقب، فالاستفادة من هذه المفاهيم والرؤى على مستوى التعاليم الإسلامية الخاصة بالمرأة دفع بهؤلاء في أول الأمر إلى اعتبار المفاهيم التي توصّلَ إليها العلماء والمفكرون اعتماداً على النصوص الدينية

www.noormags.ir

مفاهيم نسبية، فأعلنوا بعد ذلك عن اعتقادهم بجواز أي نوع من الانتقائية أو الفهم الديني، لأنها كما يرون هي جزء من المعرفة العلمية والفلسفية. وفي المحصلة فإن المثقف المسلم ومن خلال تبني التسلسل المعرفي للتجديد والحداثة والقبول بالنتائج التي تتمخض عن العلوم والفلسفة الغربية، فإنه سيقدم فهماً للقرآن والسنة متناسباً مع تلك المنطلقات، وسيعتبر أن أي اختلاف أو تناقض بين رسالة الوحي وإنجازات الحداثة هو نوع من التخلف والمناهضة للعلم.

ولم يقتصر الأمر على المعارف الدينية بل قام تيار العصرنة في المرحلة الثانية بإخضاع الإسلام للنسبية التاريخية واعتبر أن المعارف التي تضمنتها تعاليم الوحي محدودة بالظروف التاريخية الخاصة بها، وبالتالي فإن هذا الاعتقاد يرى أن الأحكام والقيم التي طرحها القرآن الكريم وطرحتها أحاديث النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام هي نوع من الخطوات المرحلية والتاريخية نحو تعزيز ودعم حقوق ومكانة المرأة ، وأن مهمة إكمال هذه المسيرة تقع على عاتق العقل والتجربة البشرية العامة حتى تتحقق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة على جميع الأصعدة سواء الفردية منها أو الاجتماعية ، فهؤلاء يعتقدون بأن الإسلام وضع في ذلك العصر اللبنات الأولى لذات النظام القانوني الذي يسعى تيار الحداثة في العصر الحاضر إلى تكامله، وقد ينتهي الأمر أخيراً إلى وضع معاهدة دولية خاصة بحقوق المرأة.

هاء- النظرة المستقبلية:

إن تيار العصرنة - وخلافاً للتيار التقليدي - يبحث في المستقبل عن التطلعات البشرية وذلك لأن نظرية «الترقي» والتقدم التي هي الأساس الفلسفي لتاريخ الحداثة تؤمن بالتطور المتتابع للتاريخ، بمعنى أن البشر هم في حالة رفض دائمة للوضع القائم ويتطلعون إلى غدٍ مشرق وأفق واسع في مجال التطور العلمي والتنمية الاجتماعية ، وترى الطبقة المثقفة من هذا التيار أن الماضي يرتبط عموماً بالتقاليد، وبالتالي فإن التطور والتنمية تتحققان عبر رفض التقاليد والترفع عنها، وليس هنا مجال للحديث عن الالتباس الواضح الذي وقع فيه تيار العصرنة من خلال وضع التقاليد وجها لوجه أمام الحداثة من جهة، ووضعهما أيضاً في خانة واحدة فيما يتعلق بالماضي والحاضر من جهة أخرى. فالنقطة المهمة هنا أن هذا الالتباس والخلط عانى منه تيار العصرنة والتجديد الإسلامي خلال تناوله لقضايا المرأة أيضاً، حيث سعى إلى تحليل هذه القضايا على ضوء المعايير السابقة، فهؤلاء - سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا - يعلنون عن رفضهم لأية عودة إلى الأحكام والتعاليم التي جاءت في الماضي ويعتبرون أن مثل هذه العودة هي نوع من التخلف والرجعية التي تتعارض مع التنمية والتقدم.

www.noormags.ir

الأطروحة الثالثة- التيار الحضاري الإسلامي

يبدو أن كلا من التوجهين السابقين لا ينسجمان مع المبادئ والتعاليم الإسلامية، فالتيار التقليدي وعلى الرغم من تأكيده على النصوص الدينية وتعاليمِ الوحيِ إلا أنه لم يفشل فقط في تقديم أطروحة متكاملة يمارس الإسلامُ من خلالها دوراً ريادياً في الحياة العامة للبشر؛ بل ورأى أن بقاء الدين مرهون بانعزال هذا الدين وانكفائه على الذات، وعلى الرغم من أن تيار العصرنة والتجدد يرى ضرورة أن يكون للدين دور فاعل وتأثير مباشر على المجريات والتحولات الراهنة، إلا أن التفاعل الذي يطالب به هذا التيار ينتهي بضياع القيم والأحكام الإسلامية الخالدة، وبعبارة أخرى فإن التيار التقليدي وتيار العصرنة لم يتمكنا من الجمع بين عنصرين أساسيين هما «الخلود» و«الديناميكية» وهي من مميزات الدين الإسلامي الحنيف ومن ضرورات الاعتقاد بخلود الإسلام واعتباره «الدين الخاتم» لكل الأديان، فالتيار التقليدي يشدد على خلود الإسلام على حساب ديناميكيته، بينما يركز تيار العصرنة على ديناميكية الإسلام في مقابل التضحية بمبادئه وشريعته الخالدة.

وهكذا يمكن أن نفهم أسباب عدم ظهور مثل هذه التوجهات المتباينة في أوساط المفكرين المسلمين خلال الفترات الماضية، فالتعارض الذي نشأ بين عنصري «الخلود» و«الديناميكية» في الدين منشؤه التحول السريع الذي شاهدته العلاقات الاجتماعية والإنسانية خلال القرون القليلة الماضية، فقد كانت هذه التحولات قائمة على أساس الفلسفة العلمانية ، وانطلقت في بيئة غربية بعيدة عن الدين، وبالتالي أوجدت داخل الثقافة البشرية تصورات بعيدة كل البعد عن القيم والمبادئ الدينية، وقد ساهم تنامي هذه الثقافة وانتشارُ مظاهر الحداثة في المجتمعات الإسلامية في تقليل فرص التوافق بين الدين ومنجزات الحداثة، وأوجد تباينات واسعة، إذ تعددت التوجهات في هذا المجال بتعدد آراء المفكرين المسلمين وتصوراتهم لهذا المفهوم.

على أية حال فإن التوجه الثالث الذي يمكن اعتباره المنطلق الفكري لكبار العلماء والمفكرين والفقهاء والمجددين في مختلف الدول الإسلامية خلال العقود الأخيرة، وهو أساس نظرية الجمهورية الإسلامية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، يزعم أنه قادر- وفي إطار نظريةٍ ورؤيةٍ واحدة - على الحفاظ على عُنْصُرَي الخلود والديناميكية في الإسلام، وأن يؤسس لعملية تنسيق وتناغم حقيقي بينهما.

ويعتقد هذا التيار أن السبيل الوحيد للخروج من المشاكل والمعضلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية عموماً وقضايا المرأة بشكل خاص يكون عبر التحرك باتجاه إقامة حضارة جديدة تضع مسيرة التطور والتحول الاجتماعي في إطار التحقيق الكامل

www.noormags.ir

للقيم الإسلامية، ويذهب التيار الحضاري إلى أبعد من ذلك حيث يعتقد بأن المشاكل التي تعاني منها المرأة في المجتمع الإسلامي هي في الأغلب نتيجة عدم الانسجام بين الثقافة الإسلامية والثقافة الحديثة من جهة، وعدم الانسجام بين التقاليد الاجتماعية للمجتمع الإسلامي والنمط الغربي الحديث من جهة أخرى.

ولابد من الإشارة هنا إلى العناصر التي تتكون منها أطروحة التيار الحضاري الإسلامي على مستوى قضايا المرأة، وكما سنلاحظ فإن هذه الدراسة التي تسعى إلى طرح تصور عام لشخصية المرأة المسلمة ستؤكد على أن مثل هذا التصور لا يكون إلا من خلال هذه الأطروحة الأخيرة، استناداً لما يأتي:

ألف- البعد الكلي لقضايا المرأة

يبدو من خلال الكلام السابق أن أهم ما يميز التيار التقليدي هو النظرة التجزيئية للقضايا وافتقاد الرؤية الكلية والشاملة التي تضم جميع أبعاد القضية، فهؤلاء لا ينظرون إلى قضايا المرأة من خلال البعد القانوني والشرعي فحسب؛ بل وتقف نظرتهم هذه عند الأبعاد الفردية والشرعية لها، هذا في حين لا يمكن استيعاب رؤية الإسلام لقضايا المرأة ومشروعه الاجتماعي لحل المعضلات التي تواجهها وتحقيق النموذج المطلوب لشخصية المرأة المسلمة؛ إلا من خلال النظرة الكلية والمتكاملة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذا القصور في الرؤية لا يقتصر على التيار التقليدي فحسب، بل إن أكثر التيارات التي تؤمن بمساواة الجنسين أصيبت بهذا النوع من القصور في الرؤية، وعند إلقاء نظرة عامة على هذه التيارات في العالم الغربي يمكن أن نلاحظ أن كل واحد من هذه التيارات تناول بعداً واحداً أو أكثر من شخصية المرأة وغفل عن الكثير من الأبعاد الأخرى، هذا في حين تتكون شخصية المرأة من أبعاد فردية وأسرية واجتماعية، وكل واحدة من هذه الأبعاد لها أقسامها المختلفة والمتنوعة، وعلى هذا الأساس فإن فصل وتجزئة القضايا عن بعضها البعض ؛ مثل فصل قضية العلم وحقوق المواطنة والمشاركة السياسية عن الأبعاد الأخلاقية والتربوية والدور الفاعل داخل الأسرة والواجبات الفردية – الأمر الذي ذهب إليه التوجهان السابقان – سوف لن يحول دون التوصل إلى حلّ حقيقي لمشاكل المرأة فحسب ؛ بل سيعرّض المرأة والمجتمع البشري عموماً إلى المزيد من المخاطر والصعوبات.

وفي حال نظرنا إلى الثقافة الإسلامية من منطلق حضاري فإننا سوف لن نعثر على كيان واحد يضم مجموعة من العناصر المختلفة لقضايا المرأة فحسب ؛ بل وسنجد أيضاً أن هذه القضية بالتحديد هي جزء من منظومة اجتماعية وتاريخية أكبر وأوسع من ذلك ولابد من التعاطي معها بصورة جدية على غرار التعاطي مع باقي العناصر الأخرى في

www.noormags.ir

هذه المنظومة، وعلى هذا الأساس فإننا نعتقد بأن القضايا التي تخص المرأة هي عبارة عن «منظومة» تمثل جزءاً صغيراً من منظومة اجتماعية أكبر، وأن هذه المنظومة الصغيرة تضم في طياتها منظومات صغيرة أخرى، وما ينبغي التأكيد عليه هنا هو أن النظرة الكلية لقضايا المجتمع والحياة البشرية بشكل عام، أي تحليل مختلف القضايا الجزئية التي تخص المجتمع البشري على أساس العلاقة التي تربط عناصره بعضها ببعض، والنظرة الكلية للمجتمع على اعتباره كتلة واحدة وهادفة، هي من متطلبات النظرة الحضارية المتكاملة.

باء- التشدد في مجال فهم الدين، والنظرة التنموية في مجال تطبيق الدين

لقد أشرنا مسبقاً إلى أن التيار التقليدي يشدد على حل قضايا المرأة من خلال تطبيق الأحكام والتعاليم الدينية، بينما ينطلق تيار العصرنة من المستلزمات الضرورية لتطوير وتنمية المجتمعات ليؤكد على أنه ومن خلال الاعتماد على العقل والتجربة الإنسانية والتخطيط العلمي يمكن أن تنجح المساعي لتحسين أوضاع المرأة ، ومن الواضح فإن هذه الرؤية تعتمد بشكل أساسي على الفكر العلماني سواء شعرت بذلك أم لم تشعر، وبالتالي فإنها أوجدت الأرضية الملائمة لفصل الدين عن المجال العلمي، ومن هنا وبالرغم من أن التيار التقليدي يسعى إلى إضفاء الطابع الديني على الحياة البشرية إلا أن ما يبدو على الواقع هو صورة مغايرة لذلك تماماً فيكفي لتحقيق هذا الأمر أن يتم الترويج للمبادئ والمفاهيم العلمانية في المجتمع، وبعبارة أخرى فإنه وفي الوقت الذي يعلن فيه تيار العصرنة الإسلامي عن دعمه وتأييده للفكر العلماني فإن التيار التقليدي يحابي هذا الفكر بشكل عملي.

إلا أن الفكر الإسلامي بعيد كل البعد عن التوجهين السابقين، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وثقافة أهل البيت (ع)، في الوقت الذي يعتبرون أن الأحكام الدينية وتعاليم الوحي هي من الأمور الخالدة، ويطالبون بتطبيق هذه التعاليم بحذافيرها؛ يرون أيضاً ضرورة أخذ المستجدات والمتغيرات المعاصرة بعين الاعتبار، وأن حالة التطور والعقلانية والتجارب البشرية هي جزء من الحياة البشرية وجزء لا يتجزأ من وجود الإنسان، والمشكلة التي يعاني منها المفكرون المسلمون هي أنهم اعتبروا بأن التحول على الواقع الاجتماعي يتطلب إعادة نظر في الشريعة والأخلاق الإسلامية، بينما المشكلة التي يعاني منها التيار التقليدي تكمن في عجزه عن تطبيق الأحكام والتعاليم الإسلامية على مظاهر التنمية الاجتماعية، بل ويعتقد بأن دخول الدين في المعترك الاجتماعي سيؤدي بالضرورة إلى التعامل بانتقائية مع الأحكام العظيمة للإسلام، ويبدو أن التوجهين ينطلقان تقريباً من تصورات واحدة ومشتركة، فتيار العصرنة يرى أن مظاهر التنمية الاجتماعية هي جزء

www.noormags.ir

من الحتمية التاريخية التي تحدث بصورة واحدة في جميع المجتمعات، وأن ماهية هذا التحول قبل أن يأخذ طابعاً وبعداً عقائدياً أو إيديولوجياً؛ فهو وليد التجارب المتراكمة للبشر ونتاج للحاجات والضرورات الطبيعية والتقنية، في حين يبدو أن التيار التقليدي على قناعة تامة بعدم إمكانية أن يسير ركب التنمية والتطور في المجتمع على أساس المبادئ والقيم الدينية والأخلاقية واستحالة أن يتم التخطيط على أساس القيم الإسلامية المطلوبة.

في مقابل ذلك فإن التيار الحضاري الإسلامي لا يرى فقط إمكانية الجمع بين الأصولية والتنمية فحسب؛ بل ويعتبر هذا الأمر من الضرورات الدينية والاجتماعية، وبهذا الصدد يمكن الإشارة إلى ثلاث خصائص للأصولية وهي:

١- سعيها الدائم للحصول على الأحكام والقيم الدينية من مصادرها الإسلامية المعتبرة.

٢- الدفاع بوعي عن هذه المبادئ والقيم الإسلامية والسعي لإبعادها عن الأخطار المحدقة وهي الجهل والخرافة من جهة، والحالة الإلتقاطية والانحرافات من جهة أخرى.

٣- التخطيط الدقيق من أجل تحقيق هذه المبادئ والقيم على مستوى الحياة الفردية والاجتماعية بما يتناسب مع الظرف الزمني والمكاني.

وهكذا يتأكد لنا بأن التيار الأصولي ليس فقط يفسح المجال أمام دخول العلم والتنمية؛ بل ويعتبر أن هذا الأمر ضروري لتطبيق الدين أيضاً، ومن هنا يمكن القول بأن التيار الحضاري يعتقد بأن منهج الاجتهاد هو السبيل الوحيد للحصول على المعارف الإسلامية الصحيحة بينما يرى - على المستوى العملي - أن المنهج العقلاني والتجريبي ضروريان لهندسة وبلورة العلاقات الاجتماعية.

جيم- التكامل في منهج الإجتهاد وإعادة النظر في المناهج العلمية

لعل هناك من يوجه بعض الانتقادات للتيار الحضاري لتبنيه هذه المفاهيم ويرى أن تصوراته هذه تنقصها الدقة والقوة اللازمة، فليس من السهل القول بإمكانية أن يتعايش الدين على اعتباره كياناً ثابتاً مع التنمية الاجتماعية باعتبارها حالة متغيرة وغير ثابتة بل وتتطلع إلى مستقبل مغاير من خلال رفضها الدائم للماضي، وفي الوقت نفسه الذي يعزز فيه هذا التعايش من ثبات الدين، فإنه يواجه حالة الركود والجمود التي قد يتعرض لها المجتمع. بينما يعتقد المفكرون والمثقفون أنه وبسبب استحالة التعايش بين الدين والتنمية الاجتماعية ؛ ينبغي العمل على تجزئة المفاهيم الدينية والاعتقاد بإمكانية تطورها، وفي نهاية المطاف فإن هذا النوع من التفكير سينتهي إلى أن الدين يمثل كياناً تاريخياً محدوداً بالزمن والفهم النسبي وهذا غير سديد.

www.noormags.ir

بطبيعة الحال لو أمكن القبول بأن الدين هو «انعكاس لتقاليد اجتماعية في حقبة تاريخية معينة» أو اعتباره – في أحسن الحالات – مجموعة من النظم التي ساعدت على تغيير وإصلاح طبيعة بعض التقاليد والعلاقات التاريخية، وكذلك القبول بأن نماذج التنمية هي بالفعل تلك الأنماط التي تطرحها الحداثة الغربية المعاصرة والتي تسربت بالتدريج إلى البلدان والدول الأخرى ليس إلا؛ فسنكون حينها واثقين باستحالة الجمع بين هذين المفهومين.

إلا أن المهم هنا هو أن هذا التصور عن الدين والتنمية هو تصور مغلوط وتنقصه المنهجية العلمية، وكدليل على خطأ هذا التصور لابد من القول:

أولاً ينبغي عدم الخلط بين الدين الإلهي والتقاليد التي كانت سائدة في عصر النزول، فالتعاليم الإلهية هي مجموعة من القيم والمبادئ والمناهج التي يمكن للمجتمع من خلالها أن يتحول من مجتمع جاهلي إلى مجتمع ديني ثم يتدرج شيئاً فشيئاً ليصل إلى القيم الإنسانية الرفيعة، وعلى هذا الأساس فلا يمكن حصر التعاليم الإسلامية في حقبة تاريخية ضيقة ومحدودة، وقد تصور البعض – وللأسف- بأن حالة التشابه بين بعض الأحكام والنظم الإسلامية وبين بعض التقاليد الجاهلية دليل على تطابق الشريعة الإسلامية مع ظروف تلك الحقبة الزمنية، وأن اعتراف الإسلام ببعض العادات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي دليل على أن الإسلام متصل بذلك العصر، وبالتالي لا يملك أحكاماً ونظماً ثابتة وأزلية، هذا بالرغم من أن أغلب التعاليم والتشريعات الإسلامية لها طابع تأسيسي سواء كان ذلك على صعيد التشريعات ذاتها أو على صعيد الظروف والمتطلبات التي جاءت بسببها، وبالتالي فقد ابتعدت بشدة عن تقاليد العصر الجاهلي، في حين أكدت على بعض العادات الحسنة .

وثانياً فإن وجه التشابه بين بعض العادات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وبين بعض تعاليم الإسلام لم يكن بسبب أن الإسلام أسس تشريعاته وأحكامه على أساس ظروف ومتطلبات ذلك العصر، بل لأن هذا القسم من التشريعات الإلهية كان معمولاً به في المجتمع الجاهلي بكيفية معينة وجاء النبي (ص) ليؤكد على الكيفية ذاتها، وذلك لشرح الأحكام المرتبطة بها. وبعبارة أخرى فإن الشريعة الإسلامية – كما نزلت أول الأمر هي مجموعة من القوانين المنسجمة والمترابطة ببعديها الفردي والاجتماعي التي تشكل إلى جانب المنظومة العقائدية والأخلاقية للإسلام، الهوية الخالدة لهذا الدين الحنيف، وهذه الهوية هي التي تجعل حياة البشر وسعادتهم أمراً مختلفاً تماماً عما جاءت به المدارس الفكرية الأخرى.

وهكذا ينبغي الالتفات إلى أن حصولنا على التشريعات والأحكام الإسلامية يتم

www.noormags.ir

عبر منهج الاجتهاد وأساليب الاستنباط ، وبالتالي فإن هذه الأساليب التي هي في الواقع أدوات عقلية سوف تكون أكثر دقة واتساعاً وشمولية مع مزيد من الممارسة والجهد الذي يبذل في هذا المجال حتى تحقق عملية الاجتهاد مقاصد الشريعة أو دون ذلك بقليل.

وعلى هذا الأساس يمكن القول : إنه وبالرغم من رسوخ الإسلام وثباته في قالب الوحي الإلهي إلا أن معرفتنا بتلك الحقائق المنزلة تزداد عبر تكامل الوسائل الخاصة بعملية الاجتهاد ، وإن هذه المعرفة ستقربنا إلى المعارف الدينية شيئاً فشيئاً .

ومن خلال هذه النقطة بالتحديد يمكن أن نكتشف الخطأ الذي وقع فيه تيار العصرنة والتجدد والذي اعتبر بأن تكامل المعرفة الدينية يأتي كنتيجة لتطور المعارف البشرية وبالتالي تنقطع عملياً الصلة بين المعرفة الدينية والوحي الإلهي، إلا أن التكامل في المعرفة الدينية من خلال المفهوم السابق يحدث عبر تطوير معرفتنا لحقائق الوحي بالاعتماد على النصوص والمصادر الدينية.

وبعبارة أخرى، فإن المثقف يعتبر «العقلانية الحديثة» أساس معرفة الإسلام ويسعى إلى اعتبار تعاليم الوحي مساوية للمعطيات العقلانية البعيدة عن الدين، بينما التيار الحضاري الإسلامي يعتبر أن السبيل إلى معرفة حقيقة الإسلام يكون من خلال التركيز على المصادر الدينية والاستفادة من العقل الاستكشافي والاستنباطي.

من جانب آخر، فهناك اعتقاد يرى أن من الضروري أن لا يُستفاد من العلوم التجريبية والبحثية فقط من أجل تحقيق مبادئ الدين والحضارة الإسلامية الحديثة؛ بل إن ازدهار الحضارة الإسلامية يتحقق عبر التنمية الاجتماعية الدائمة وطبقاً للمبادئ الإسلامية التي هي عبارة عن تزاوج رائع بين الأبعاد المعنوية والأبعاد المادية في حياة الإنسان.

www.noormags.ir